

ويدوم ثمركم

مما لا شك فيه أن الثمر الروحي في حياة الإنسان الروحية أو خدمته هو أمر مفرح جداً يتحقق بعد جهاد وعناء كثير. لكن الأمر الأكثر أهمية من الإثمار هو دوام الثمر. ومرحلة الجهاد للإثمار تختلف عن مرحلة الجهاد للحفاظ على دوام الإثمار. يشبه ذلك الفرق بين وصول الماء إلى درجة الغليان والإبقاء عليه في حالة غليان. والسيد المسيح في حديثه مع التلاميذ قبيل الصلب قال لهم: "أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأثروا بثمر ويدوم ثمركم" (يو ١٥: ١٦). ولعل بولس الرسول أدرك أهمية دوام الثمر عندما قال: "إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار" (١ كو ٣: ١٤-١٥). أي أن بنيان العمل شيء وبقاؤه عند الامتحان شيء آخر. لذا لا يعني ظهور الثمر على الشجرة أو ارتفاع المبنى فوق سطح الأرض أن هذه هي نهاية المطاف في مسيرة الجهاد الروحي بل العبرة بمدى الصمود عندما ينزل المطر وتجيء الأنهار وتهب الرياح.

وقانون الطفرات لا ينطبق على الحياة الروحية. وإن كان هناك ما يسمى زيارة النعمة حيث تنتعش فيها روحيات المرء بنعمة غير اعتيادية فإن التأثير الروحي الناتج عن زيارة النعمة تلك يحسب على سبيل العربون وليس على سبيل النمو إذ ينبغي على المرء حينئذ أن يجاهد لكي "يمسك بالحياة الأبدية التي إليها دعي" (١ تي ٦: ١٢).

والتذبذب في الحياة الروحية هو شكوى الكثيرين. فهم يتأرجحون بين فترات من الحرارة الروحية وبزوغ براعم الثمر وفترات أخرى من القحط الروحي حيث تصير السماء التي فوق رأس الإنسان نحاساً والأرض التي تحته حديداً (ث ٢٨: ٢٣). بالطبع لا يحسب هذا التأرجح نمواً. فلم نسمع قط عن طفل نمت قامته عدة سنتيمترات ثم عاد بعد عدة شهور وفقد الطول الذي اكتسبه. ولا تحسب السيارة أنها تقطع الأميال إن كانت تسير للأمام ميلاً ثم ترجع إلى الخلف اثنين. بالتالي لا يحسب الجهاد قانونياً ما لم يتحول الثمر من مجرد حدث عرضي إلى حالة دائمة من الإثمار تميز إنساننا الداخلي. والضمان الوحيد لدوام الثمر هو دوام السير على الطريق الروحي ودوام النمو. ولن يدوم نمو الغصن ما لم يثبت في الكرمة من خلال دوام التصاق العقل والقلب بالله في هذيد مستمر في كلمته ومن خلال أذن متيقظة لصوت الروح القدس وإرشاده في كل حين. هنا يتحقق قول الرب: "أنا الرب حارسها. أسقيها كل لحظة. لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً ونهاراً" (إش ٢٧: ٣)، وعندئذ فقط يقع عاتق مسئولية المحافظة على دوام الثمر على الروح القدس.